﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشّورى: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ البِشارَةِ والنِّذارة

لمّا كان الإيحاءُ المَذْكورُ أوَّلَ السّورةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ يُراد به البُشْرى؛ إذ هي الأمرُ المَقْصودُ أصالةً، وأعقبَهُ بنَفْيِ الوكالةِ عن النَّبيِّ الكريم ﷺ، إذْ ما عليهِ إلّا البلاغُ بالبِشارَةِ والنِّذارة[1]؛ بيَّنَ في هذه الآيةِ البِشارةَ والنِّذارة، فالبشارةُ في إيحاءِ القُرآن الكريم إليهِ، والنِّذارةُ في تخويفِ العِبادِ من سخَطِ اللّه تعالى وغضبِه، وتخويفِهمُ اليومَ الآخِرَ، فقال سُبْحانَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾: (أم): تَدور اشْتِقاقاتُها على تَضامٍّ شيءٍ أو أشياءَ متجانِسَةٍ، بمعنى: لحاقِ بعضِها ببعضٍ في حيّزٍ يُحيط بظاهِرها بلُطْفٍ. ومنه سُمّيت الوالدَةُ: أُمًّا؛ لأنَّ أولادها مرتبطونَ بها، وهي أصلهُم ومَجْمَعُهم؛ لأنَّهم كانوا في بَطْنِها[2]. والقُرى: جمعُ قريَةٍ، وتدلُّ تصاريفُها على الاجتماعِ، ومنه القَريةُ، فإنَّها إنَّما سُمّيت بذلك لاجتماعِ النّاس فيها[3]. وهذا التَّركيب "أُمُّ القُرى" يُراد به: مكَّة المكرَّمة، وقيل لها ذلكَ لأنَّها أصلُ القُرى؛ لكونِ الأرضِ دُحيت مِن تَحْتِها[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 248.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قري).
(4) الأنباريّ، الزّاهر: 2/ 101.

2) ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾: اليوم: هو المُدَّة الممتدَّةُ مِنْ طُلوعِ الفَجْرِ - وقيل: مِن طلوع الشَّمس[1] - إلى غُروبِ الشَّمْسِ، وقَدْ يُطْلَقُ على ما يَعُمُّ اللَّيْل والنَّهارَ[2]، ويُطلق على مُدّةٍ مِن الزَّمانِ أيًّا كان مقدارُها[3]. فأمّا الإطلاق الأوّل؛ فَكالوارِدِ في قول الله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾ [سبأ: 18]، وكالذي في قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: 183 - 184]. وأمّا الإطلاق الثّاني؛ فكالوارِدِ في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ [آل عمران: 41]؛ فإنَّ المُراد باليَوْمِ ما يَعُمُّ اللَّيْلَ كذلكَ، كما دلَّت على ذلك آيةُ سورَةِ مَرْيَمَ: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾ [مريم: 10]. وأمّا الإطلاقُ الثّالِث؛ فَكالوارِدِ في قوله ﷻ: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ [البقرة: 254]. والمرادُ باليَوْمِ في ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾: مُطْلَقُ الوقت؛ وحقيقتُهُ: المُدَّةُ الممتدَّة مِن مَبْدَأِ القيامة إلى وقت استقرار أهل الجنَّةِ في الجنَّة، وأهلِ النّار في النّارِ. والجَمْع: تدور مادَّتُهُ على تضامٍّ الشَّيءِ. و﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ هو يوم القيامَةِ[4]، وسُمّي بذلك لأنَّ الله تعالى يجمَعُ فيه الخلائقَ للحسابِ.

3) ﴿رَيۡبَ﴾: (ريب) تدلُّ تَصْريفاتُها على شَكٍّ، أو هوَ: الشَّكُّ مَعَ تُهَمَةٍ، ويُطلَق على الشَّكِّ معَ خوفٍ، يُقال: رابَهُ الأمْرُ؛ إذا أدْخَلَ عَلَيْهِ شَكًّا وخَوْفًا، وأصلُ الرَّيْبِ: أنْ يَنْزِلَ بالقارِّ السّاكنِ ما يُزْعِجُه ويَسوءُهُ[5]. والرَّيب في قولِ الله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ الشَّكُّ، والمعنى: لا شكَّ فيه.

4) ﴿فَرِيقُۢ﴾: (فرق) تَدورُ اشْتِقاقاتُها على تمييزٍ بينَ شيئين، ومنهُ: الفِرَقُ، وهو الفِلْقُ من الشّيءِ إذا انفلقَ، كما قال الله سُبحانه: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾ [الشّعراء: 63]. والفِرقَةُ: طائفَةٌ مِنَ النّاسِ، والفَريقُ: بمعناهُ، ويكون الفريقُ مِنَ النّاسِ

(1) ذكره الرّاغب في المفردات: (يوم)، وجعل القِنَّوْجِيُّ في فتح البيان: 1/ 47 هذا المعنى عُرفيًّا، وبدء اليوم من طلوع الفجر معنًى شرعيًّا، واستدرك السّمين في الدُّرِّ المصون: 1/ 52 على الرّاغب في جعلِهِ مَبْدَأَ اليومِ طلوعَ الشمسِ، فقال: "وهذا إنَّما ذكروهُ في النَّهارِ لا في اليَومِ".

(2) الفَيّوميُّ، المصباح المنير: (يوم).

(3) الرّاغب، المفردات: (يوم).

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (جمع).

(5) ابن دُريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (ريب).

وغيرِهم[1]. والفريقُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ الجماعَةُ المُنْفَرِدَةُ عن غَيْرِهم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ غايَةٍ مِنْ غاياتِ إنْزالِ القُرآنِ الكَريمِ

يَذْكُر اللّهُ سُبحانَهُ أنَّه أوحى إلى نبيِّهِ مُحَمَّد ﷺ قرآنًا عربيًّا، كما أوحى إلى الأنبياءِ مِنْ قَبْلِهِ؛ ليكونَ هذا القُرآن وسيلَةً لِنذارَةِ أهلِ مكَّةَ - أمِّ القُرى - ومَن حولَها مِن سائر الأقوام. ويُنذرَ بهِ أيضًا العذابَ الحاصلَ يومَ القيامةِ، الذي لا شَكَّ في وقوعِه؛ حيثُ ينقسِمُ النّاس فيه إلى فَريقَيْن؛ فريقٍ نالَ رِضا اللّهِ تَعالى فاسْتَقَرَّ في الجنَّة، وهُم أهلُ الإيمانِ الذين اتبَّعوا الرَّسولُ ﷺ، وفَريقٍ آخرَ كَفَر باللّه ﷻ وعصى رسولَهُ ﷺ، فأُدْخِل النّارَ المُسْتَعِرَةَ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

التَّناسبُ اللَّفظيُّ والمعنويُّ لآي القُرآن الكريمِ

الواوُ في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جُمْلَة: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ لما بينَهُما مِنَ التَّوسُّط بينَ الكمالَيْن؛ وذلكَ لاتِّحادِهما في الخبريَّة، ولما بينَهُما من التَّناسُب اللَّفظيِّ والمَعْنَويِّ، فأمّا اللَّفْظيُّ: فاشتراكُهما في الفعليَّة؛ لتعلُّق (كذلك) في الآيتين بمَحْذوفٍ هو مفعولٌ مطلق، وأمّا التّناسب المعنويُّ؛ فبالنَّظر إلى المُغايرة بين الجملةِ المَعْطوفَةِ والجُملة المعطوفِ عليها، وذلك لِما اشْتَمَلَت عليهِ الجُمْلَةُ المعطوفَةُ مِن بيانِ كونِ الموحَى بهِ إلى النَّبيِّ ﷺ قرآنًا عربيًّا، وما تضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ المَعْطوف عليها مِن كون الموحَى إليهِ مِن جنسِ ما أوْحى بهِ إلى الأنبياءِ قبلَهُ[4].

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (فرق).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرق).
(3) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 483.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 35.

الغرَضُ مِن التَّعبير باسْمِ الإشارَةِ، وبيانُ المُشار إليهِ:

بيانُ عُلوِّ شأنِ القُرآن الكريمِ وسُموِّ قَدْرِه

اسْمُ الإشارة (ذلك) من قولِ الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ دالٌّ على البُعْد، وفي اسْتِعْمالِه إيماءٌ إلى رِفْعَةِ شأنِ الوَحْي المُنْزَلِ على النَّبيِّ الكريم مُحَمَّدٍ ﷺ وعظيم مكانَته، والمُشارُ إليه هو الوحيُ المتقدِّم في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾؛ وإنَّما كُرِّر ليُبْنى عليه بيانُ الوَحْي، وأنَّه قرآنٌ عربيٌّ؛ وذلك لِما حالَ بينَهُما من الفَصْل، وأصلُ النَّظم: كذلك يوحي إليك اللهُ العزيزُ الحكيم قرآنًا عربيًّا. معَ ما في التَّكرار من التَّأكيد؛ تقريرًا لذلك المَعْنى أتمَّ تقرير[1].

دلالةُ التَّعبير بالماضي ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾، وإسنادِهِ إلى ضميرِ العظَمَة:

أعظَمُ الوَحْيِ ما أوحاهُ اللهُ تَعالى إلى نبيِّه محمَّدٍ ﷺ

عبَّر النَّظمُ القرآنيُّ عن فعل الإيحاءِ بالفِعْلِ الماضي ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ في قول اللهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ للدّلالة على تحقُّق وقوع فعل الإيحاءِ وتحقُّق نزول الوحي؛ ليكونَ ذلك أبْيَنَ في تفخيم شأنِه. وأُسْنِد فعلُ الإيحاء إلى ضميرِ العظَمة (نا) في ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾؛ للدّلالَةِ على عظَمَة الموحي سبحانه، وجلالةِ الموحَى به، وهو القرآنُ الكريم، وفي ذلك إشعارٌ بأنَّ شريعتَهُ ﷺ هي الشَّريعة المُعْتَنى بها غايةَ الاعْتِناء[2]. وفي هذا الإسنادِ التفاتٌ مِنَ الغَيْبَةِ إلى التَّكلُّم[3]؛ إذ مُقْتَضى الظّاهر أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وكذلك أوحى إليكَ قرآنًا عربيًّا)؛ لتقدُّم ذِكْرِ الاسْمِ الأحسَنِ (الله) في الجُمْلَةِ قبلَهُ: ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾، وأوثر الالتفاتُ إلى التَّكلُّم لأنَّه أدخَلُ في بيانِ العظَمةِ والجلالِ لمنزلَةِ الوَحْيِ الإلهيِّ.

الغرضُ مِن تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿إِلَيۡكَ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿إِلَيۡكَ﴾ على المَفْعولِ ﴿قُرۡءَانًا﴾ في قولِ اللهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 35.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 22.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 35.

تَعظيمُ شأنِ النَّبيِّ ﷺ، وبيانُ رِفعَةِ قَدْرِه

تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾؛ لإرادة الاهتمام بالمُقدَّم وهو النَّبيُّ ﷺ؛ تعظيمًا لقَدْرِه، وبيانًا لرِفْعَةِ شأنِه، لا لإرادَةِ القَصْر والاخْتِصاص؛ إذِ الذي أوحاهُ اللهُ تَعالى إلى نبيِّه ﷺ ليس مُخْتَصًّا بالقرآن الكريم، فإنَّ السُّنَّة الشَّريفةَ وحيٌ ثانٍ[1]. وفي التَّعبير بلفظ القرآنِ على المَقْروءِ مبالغةٌ في اتِّصافه بالمَقروئيَّة؛ لكثرةِ ما يُقْرَأ، وما كَثُرَت قِراءَتُه إلّا لمكانهِ مِنَ الحُسْنِ والفائدَةِ، فكانَ هذا الاسمُ مُشْتَمِلًا على معنى الكمالِ مِن بينِ سائرِ المَقْروءات[2].

الغرضُ مِن تنكيرِ المَفعولِ بِهِ، وسِرُّ تَقْييدِهِ بالوَصْفِ ﴿عَرَبِيّٗا﴾:

تعظيمُ القُرآنِ الكريمِ وتفخيمُ شَأْنِه

نُكِّر لفظُ القرآنِ من قول الله سُبْحانَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ تعظيمًا وتفخيمًا لشأن القرآنِ الكريم؛ إذْ هو الكتابُ الجامعُ لكُلِّ حِكْمَة[3]. وقُيِّد المفعولُ به ﴿قُرۡءَانًا﴾ بالوصْفِ ﴿عَرَبِيّٗا﴾؛ ليكونَ ذلك أليقَ بحالِ المُنذَرين به وأنسَبَ، لِما اقْتَضَتْهُ الحكمَةُ الإلَهيَّة مِن اختيارِ العرَب ليكونوا أوَّل مَن يتَلَقّى الإسلامَ وينشرُه بين سائرِ الأُمَم، ولو روعيَ فيه جميعُ الأُمم المخاطَبَةِ بدعوةِ الإسلام؛ لَلَزِمَ مِنه أن ينزل بلُغات لا تُحْصى، فلذا اختارَ اللهُ سُبْحانه لهذا القرآنِ أفضلَ اللُّغات، واختار إنزالَه على أفضلِ البَشَرِ ﷺ[4]. وفي وصفِ القرآن بكونِه عربيًّا إيماءٌ إلى فصاحة ألفاظِه وإبانَتِها؛ وهو ما يدُلُّ عليه أصلُ لفظِ (عرب) المفيدِ الإفصاحَ والبيانَ[5].

معنى اللّام ودِلالَتُها في ﴿لِّتُنذِرَ﴾:

بيانُ سببِ الإيحاءِ وغايَتِه

اللّام الدّاخلة على الفِعْلِ الإنذار ﴿لِّتُنذِرَ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ حرفٌ دالٌّ على التَّعليلِ، وبعدها

(1) حكمي، معارج القبول: 3/ 1225.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 35.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 249.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 36.
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (عرب).

(إن) مضمرَةٌ تنصِبُ الفِعْلَ المضارِعَ بعدَها، وتُسبك معه بمصدرٍ، والتقدير: لإنذارِ أُمِّ القُرى. واللّامُ هُنا تدلُّ على الإفصاح عن سبب الإيحادِ وإرسال النَّبيِّ الكريم ﷺ. فكان قوله: ﴿لِّتُنذِرَ﴾ خِطابًا لِلرَّسولِ ﷺ، والمعنى: أوحينا إليكَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ قُرآنا عربيًّا لإنذارِ أمِّ القُرى ومَن حَوْلَها[1].

دلالةُ التَّعبير بالفعلِ المُضارِع (تنذر):

تـجـدُّدُ الإنـذارِ بـتَـجـدُّدِ نُـزولِ الوَحْيِ

عُبِّر عن الإنذارِ بصيغَةِ الفِعْلِ المُضارع (تنذر)؛ لإفادَةِ اسْتِمْرارِ الإنذارِ وتجدُّده بتجَدُّد نزولِ الوحي. واختيرت مادَّة الفعلِ (نذر)؛ لدِلالتها على الإعلامِ المَقْرونِ بالتَّخويف، وذلك ملائمٌ لحالِ المُنْذَرين من أهلِ مكَّة ومَن حولَها؛ إذْ هُم المَقْصودونَ بالرَّدِّ عليهِم لإنكارِهم رسالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ[2].

دلالةُ حذفِ المُضافِ في ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، ونُكْتَةُ تَخْصيصِها بالإنْذارِ:

عـمـومُ الـنِّـذارَةِ والبِشارَةِ لِجَميعِ المُكَلَّفينَ

في قول الله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ حذفُ مضافٍ، والتَّقدير: لتُنْذِرَ أهلَ أمِّ القرى، فيكون من إيجازِ الحَذْفِ، وقرينَةُ الحذفِ: ما تقرَّر من أنَّ الأبنيةَ لا تُنذَرُ[3]. ويجوز أن يكونَ مجازًا مرسلًا، بعلاقةِ المحلِّيَّة؛ فقد ذُكِرَ المَحلُّ - وهو أُمُّ القرى - ، والمرادُ الحالّون بها وهُم أهلُها. وتخصيصُ أمِّ القُرى ومَن حولها بالذِّكر في الإنذار؛ لكونِهم أقربَ النّاسِ إلى النَّبيِّ ﷺ، كما قال اللّهُ تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشّعراء: 214]. والاقتصارُ على إنذارِ أُمِّ القرى ومَن حولَها لا يَقْتَضي تخصيصَ إنذارِ الرَّسولِ ﷺ بأهل مكَّة ومَن حولها، ولا تخصيصَ الرَّسولِ ﷺ بالإنذار دونَ التَّبشير للمؤمنين؛ لأنَّ تعليل الفعلِ بعِلَّةٍ باعثِه لا يستلزم أن يكون الفعلُ المُعلَّل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 36.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 36.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 583.

مخصَّصًا بتلك العِلَّة ولا بمتعلّقاتها؛ إذ قد يكون للفعل الواحد عِللٌ باعثَة؛ وإلّا فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أُرسِل إلى النّاس كافَّة، كما قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: 28][1]. والاقتصارُ على ذِكْر النِّذارة اكتفاءٌ، وإلّا فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يُنْذِر ويُبَشِّر، واقتُصِر على ذِكْر النِّذارة هاهنا لكونِها أنسبَ لمَقام التَّهديد الذي سيقَت الآياتُ لَهُ.

دلالَةُ العَطْفِ في ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾:

إبْطالُ وهْمِ اليَهودِ وغيرِهِم مِن أصنافِ الكَفَرةِ

جاء قول اللّهِ تعالى: ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ معطوفًا على لفظِ (أهل) المحذوفِ، والتَّقديرُ: ولتنذر مَنْ حول أمِّ القرى[2]. وأفادَ هذا العطفُ على أنَّ أهل مكَّة ومَن حولها هم المخاطبون بالدّين ابتداءً[3]، أو يكون المقصود بـ ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ جميعَ الأرض التي مكَّة هي أمُّها وأصلُها، وفيه الرَّدُّ على زعمِ طائفَة مِنَ الكفّارِ - يهودًا وغيرَهُم - الزّاعمين أنَّهُ رَسولٌ إلى العَرَبِ وحدَهُم، جاعلين (مَنْ حَوْلَها) القُرى المُحيطَة بِها؛ وهيَ جَزيرَةُ العَرَبِ[4]. وفي هذا العطفِ إيماءٌ إلى التَّدرُّج في الإنذارِ، فيُبْدَأُ في الإنذارِ بِأُمِّ القُرى، ثُمّ يَعُمُّ الإنذارُ الأرضَ.

الغرضُ من التَّعبير بالاسمِ المَوصولِ (مَن):

عمومُ الوحيِ والرِّسالة لأهلِ الأرضِ كلِّهِم

(مَنْ) في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ اسمٌ موصولٌ، وعُبِّر به لإفادَةِ العُموم والشُّمول، قصدًا إلى التَّنصيص على بُلوغ الإنذارِ لكُلِّ فردٍ مِنَ الأفرادِ المَوْجودين حولَ أمِّ القُرى؛ وهُم أهلُ الأرضِ جميعًا[5]. وفي الإتيانِ بالاسمِ الموصولِ (مَن) - مع ما تضمَّنه من معنى الشُّمول والعموم - تصحيحٌ للنّظم على طريقة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 36.
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 5/ 39.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 36.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 249، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 583.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/ 142.

العرب، وذلك لأنّ ﴿حَوْلَهَا﴾ ظرفٌ، وهو لا يستقيم عطفُه على ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، وإن كان مِن حيثُ المعنى يصحُّ، إلّا أنَّه لو عُطِف ﴿حَوْلَهَا﴾ - وهو ظرفٌ - على ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ لَلَزِم أن يكونَ ﴿حَوْلَهَا﴾ مفعولًا به؛ لِعَطْفِه على المفعولِ بهِ ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، وهذا لا يجوزُ في العربيَّة؛ لأنَّ فيهِ إخراجَ اللَّفظِ عَنِ الظَّرفيَّة، واستعمالُهُ لَم يَرِد إلّا مُلازمًا لَها، غيرَ متصَرِّف فيه بغَيْرِها[1].

دلالَةُ التَّعبير بالظَّرف المُضافِ ﴿حَوْلَهَا﴾:

جاء التّعبيرُ بالظَّرف ﴿حَوْلَهَا﴾ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وهو ظرفٌ لا يتصرَّف، والعاملُ فيه فِعْلٌ مُضْمَرٌ، تقديرُه: ومَنِ استقرَّ حولها[2]، وإضافتُه إلى الضَّمير يُفيد العمومَ والشُّمول، فيَعمُّ جميعَ البِقاع الكائنة حولَ مكَّة المُكرَّمة؛ فيكون في الآيةِ دليلٌ آخَرُ - يُضاف إلى دلالة الاسم المَوْصول (مَن) - على عمومِ رسالَةِ النَّبيِّ ﷺ لأهل الأرض كُلِّهم.

التَّأكيدُ على عُمومِ الرِّسالة الإسلاميَّة لأهْلِ الأرْضِ

معنى الواوِ ودِلالَتُها في ﴿وَتُنذِرَ﴾:

الواو في قول اللّهِ تَعالى: ﴿وَتُنذِرَ﴾ عاطفةٌ ما بعدَها على قوله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، وفي العطفِ تخصيصُ يومِ القيامة بالذِّكر؛ تخويفًا للنّاس منهُ وترهيبًا لهم مِن عذابِهِ، وزيادةً في التَّهويل، وبيانًا لعظَمةِ ما يقع فيه مِن أحداثٍ، فإنذارُ أمِّ القُرى عامٌّ، وإنذارُ النّاسِ يومَ القيامة خاصٌّ[3].

المُبالَغَةُ في إنذارِ العِباد عُمومًا وخُصوصًا

دلالَةُ تَكرارِ فعلِ الإنذارِ:

كُرِّر فعلُ الإنذار (تنذر) في قول الله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾، مع تقدُّم ذِكْرِهِ قبلُ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ

تفخيمُ شأنِ اليومِ الآخِرِ وتهويلُ أمرِهِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 583.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/ 322.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 15.

حَوْلَهَا﴾؛ زيادةً في الإنذارِ ومبالغةً فيه، وبيانًا لعظمَةِ أهوالِ ذلكَ اليوم؛ لأنَّ إفرادَهُ بالذِّكر يدلُّ على تهويلٍ وتفخيم[1]. وفي إفرادِ يوم القيامةِ بالذِّكْرِ مقرونًا بفعل الإنذار مكرَّرًا ردٌّ على المُشْرِكين في إنكارِهم ذلك اليومَ، ولذا قال بعدَهُ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾، كما أنَّ في ذِكْرِ يوم القيامةِ توطِئَةً لذِكْرِ أحوال النّاس في ذلك اليومِ العَظيم في قول اللّه تَعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

بلاغَةُ الاحتباكِ في الآيَةِ:

الحذفُ أبلَغُ في إفادَةِ التَّخويفِ والتَّهويلِ

فعلُ الإنذارِ في قول اللّه تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يتعدّى إلى مفعولَيْن، وقد اقْتُصِر في كلِّ جُملة مِنْ جُملتَي الآية بمفعولٍ واحدٍ، وطوي الآخَرُ، ففعْلُ الإنذارِ الأوَّلُ في ﴿لِّتُنذِرَ﴾ ذُكر المفعولُ الأوَّل وحُذف الثّاني؛ والمَعْنى: لِتُنْذِرَ أهلَ أُمِّ القُرى العذابَ، واقْتُصِر في (تُنْذِر) الثّاني على المفعول الثّاني؛ إذِ التَّقديرُ: تنذر النّاسَ يومَ الجَمْعِ[2]. فكان ما أُثْبِت في كلٍّ منهما دليلًا على ما حُذِف في الآخَر، وهو المسمّى احتباكًا أو حَذفَ التَّقابل؛ فقد ذُكِر المُنذَرون أوَّلًا دلالةً على إرادتهم ثانيًا، وذُكِر المُنْذَر بهِ وهو يوم الجمعِ ثانيًا دلالة على المُنْذَرِ بِهِ من عذاب الأمم أوَّلا، ليذهب الذِّهْنُ في المحذوفِ كلَّ مذهب، فيكون أدخَلَ في التَّهويلِ والتَّخويف[3].

الغرَضُ مِن الإضافَةِ في ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾:

سَـبْـقُ الإنـكـارِ يَـقْـتَـضي زيـادةَ التَّهْديدِ

أُضيفَ ﴿يَوْمَ﴾ إلى ﴿ٱلْجَمْعِ﴾ في قول اللّهِ تَعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾؛ لإثارة الرَّهبة والجلالِ في النّفوس؛ وليشملَ جميعَ ما يُمكن أن يُنذَرَ به ممّا يقعُ في يوم الجَمْعِ؛ من الحساب والجزاءِ، وانقسامِ النّاس فريقين، واجتماعِ الأرواح بأجسادها، واجتماعِ أهل الأرض بأهل السَّماء،

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 15، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 37.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 27.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 250.

واجتماعِ النّاسِ بأعمالِهم التي عملوها في الدُّنيا[1]. وفي الإضافةِ أيضًا زيادةٌ في تقريعِهم والتَّنْكيلِ بِهِم وتَهْديدِهِم، لِما تقدَّم مِن إنكارِهم لِهَذا اليومِ، كما حكى اللّهُ تعالى عَنْهُمْ في موضعٍ آخر: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ [الأنعام: 29][2].

الغرَضُ مِن جملة ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾، وبيانُ موقعِها:

جملةُ ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ مِن قول اللّهِ تَعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ وقعَت اعتراضًا لتَقْريرِ ما قبلَها[3]، ومَعْنى ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾: أنَّ أدلَّتَهُ تنفي الشَّكَّ في وقوعِهِ، فنُزِّل ريبُ المُرْتابين منزلةَ العدَمِ؛ لأنَّ موجِباتِ اليقينِ بوُقوعه بيِّنة، وظَرفيَّة الرَّيب المَنفيِّ في ضمير اليوم هوَ مِنْ باب إيقاع الفِعْلِ ونحوه على اسم الذّات، والمقصودُ: إيقاعُه على بعضِ أحوالِها التي يدلُّ عليها السّياقُ والحالُ، والمعنى: لا ريبَ في وُقوعِه[4].

ظُهورُ أدِلَّةِ يوم القيامَةِ ظُهورًا لا لَبْسَ فيهِ

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿لَا﴾ النّافيَةِ للجِنْسِ:

آثَر البيانُ القرآنيُّ في التَّعبير عن نفي الرَّيْبِ من قول اللّهِ تَعالى: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ الإتيانَ بـ ﴿لَا﴾ النّافية للجنسِ؛ لنَفْيِ ما يمكن أن يختلج في النّفس من شكٍّ أو وهمٍ في تحقُّق وقوع ذلك اليوم؛ إذ مِن كمالِ عدل اللّه تَعالى أن يجمعَ النّاس، ثُمَّ يُجازيهم على ما كان مِنْهُم؛ لأنَّه قَد رَكَز في فطرة كلِّ أحدٍ أنَّ الحاكِمَ إذا اسْتَعْمَل عبيدَهُ في شيءٍ، ثُمَّ صدرَ بينهم ظُلْمٌ، فإنَّه يتعيَّن عليه وفق مقتضياتِ السّياسة أن يَجْمَعَهُم؛ ليحقِّق العدْلَ بينَهُم وإلّا عُد سفيهًا غيرَ حكيمٍ، فما الظَّنُّ بأحْكَمِ الحاكمينَ ﷻ[5].

يـومُ الـقـيـامَـةِ حقٌّ ثابتٌ، وهو مِـن مُقْتَضيات الحِكمَةِ الإلهيَّة

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 324.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 44، والماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 53.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 23.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 38.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 250.

الغرَضُ مِن حَذْفِ خبَرِ ﴿لَا﴾:

تقليلُ اللَّفْظِ إيجازًا واختِصارًا

في قولِ اللّه تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ إيجازٌ بالحذفِ، فقد حُذِفَ خبرُ لا النّافية للجنسِ؛ لظهور ما يدلُّ عليهِ، والمعنى: لا رَيْبَ كائِنٌ في وُقوعِه[1] وتحقُّقِه ومَجيئِه. فكان في هذا الحَذفِ تأديَةٌ للمَعْنى، مع طيِّ ما لا يتوقَّف المَعْنى عليهِ مِنَ اللَّفظ إيجازًا.

موقعُ جملةِ ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ ممّا قبلَها، ودِلالَتُه:

بيانُ أصنافِ النّاسِ يومَ القيامَةِ ومآلاتِهم

الجملة ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ مستأنفَةٌ استئنافًا بيانيًّا، وعُطِف عليها جُمْلَة ﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾؛ فصار مجموعُ قولِ اللّه تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ واقعًا جوابًا عَنْ سؤالٍ سائلٍ عن شأن هذا الجمعِ، أي: ما شأنُ هذا الجمعِ؟ فجاء الجوابُ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾، أو لسُؤالِ سائلٍ: ما حالُ هذا الجَمعِ؟ وهذا إذا حُمِلَ لفظُ ﴿ٱلْجَمْعِ﴾ على معنى: المَجْموعينَ، فجاء الجواب: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾، أي: فريقٌ مِنْهُم في الجنَّة وفريق مِنْهُم في السَّعير[2].

دلالَةُ تَنْكيرِ لفظِ ﴿فَرِيقٌ﴾ في المَوْضعَيْن:

دُخولُ الجنَّة فضلٌ، وصَلْيُ النّارِ عدلٌ

آثَر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بـ ﴿فَرِيقٌ﴾ مُنَكَّرًا في المَوْضعَين؛ للدّلالَةِ على التَّعظيم والتَّحقير، فالفريقُ الأوَّلُ: فريقٌ عظيمُ الشَّأن جليلُ القَدْرِ، ومآلُهُ الجَنَّة. والفريقُ الآخَرُ: فريقٌ حقيرُ المكانةِ سافلُ المَنْزِلَةِ، مآلهُ جَهَنَّم. وسَوَّغ الابتداءَ باللَّفظ مُنَكَّرًا وقوعُه في سياق التَّفصيل والتَّقسيم لأصنافِ النّاس في الآخِرَةِ[3]؛ ففَريقٌ مِنَ المَجْموعينَ هُم أهلُ فُرْقَةٍ؛ تَدارَكَهُم اللّه تعالى بأنْ جَعَلَهُم أهلَ جَمْعٍ في الجنَّة فضلًا منهُ ومِنَّةً، وفريقٌ آخَرُ خَذَلَهُم اللّهُ سُبْحانَه، فازْدادوا فُرْقةً في السَّعير؛ عدلًا مِنْهُ ﷻ[4].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 8، والسّمين، الدّرّ المصون: 1/ 83.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 37.

(3) الشّهاب، عناية القاضي: 8/ 334.

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 251.

دِلالَةُ العَطْفِ في قوله: ﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾:

الجَزاءُ مِن جِنْسِ العمَلِ

الواوُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جملةِ ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ﴾؛ لِما بينَهُما من التَّوسُّط بين الكمالَين؛ إذِ الجُمْلتان اشتركَتا في الخبريَّة، وبَيْنَهُما تناسبٌ في اللَّفظ، وهو كونُهما جملتَيْنِ اسْميَّتَيْنِ، واتَّحد فيهما المسنَدُ إليهِ ﴿فَرِيقٌ﴾، وبينَهُما تناسُبٌ في المعنى؛ وهو التَّضادُّ، فالجملة الثّانية ﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ واردةٌ لبيانِ مُقابلِ الفريقِ الأوَّلِ في قولِه: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ﴾، فكما كانوا في الدُّنيا فريقَيْنِ؛ فريقًا في راحةِ الطّاعة ولذَّة العبادة، وفريقًا في ظُلمة الشِّرك ومَرارة الجَحْدِ والشَّك؛ كانت عاقِبَتُهم في الآخرة أن يكونوا فَريقَيْنِ[1].

معنى ﴿فِي﴾ ودِلالَتُها:

اسْتِقرارُ كُلِّ فريقٍ فيما يَليقُ بأعمالِهِ

﴿فِي﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الظَّرفية، وهي في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ تدلُّ على التَّمكُّن والاستقرارِ التّامِّ، فأهلُ الإيمانِ والعمَل الصّالح مُتَمَكِّنون في الجنَّة على وجهِ التَّنعُّم، مستقرّون فيها بالخُلود الأبديِّ، وأهل الكُفْر مُتَمَكِّنون في النّار على وجهِ العَذاب، باقون فيها أبدَ الآبدينَ.

بلاغةُ الطِّباق بين ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾:

إظهارُ تبايُنِ المَصيرَيْن؛ مصيرِ أهلِ الإيمانِ ومَصيرِ أهلِ الكُفْرانِ

في قول اللّهِ تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ طباقُ إيجابٍ بين كَلِمَتَي ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾؛ حيثُ يُمَثِّلان مَعْنَيَيْنِ مُتَضادَّين، والغرضُ مِن هذا الطِّباق بيانُ انْحِصارِ الجزاء والمآل في ذلك اليوم في هَذَين المكانَيْنِ؛ فالنّاسُ بعد جَمْعِهم في المَوْقِف ثُمَّ تفرُّقِهم بعد الحِسابِ؛ إمّا أن يكونَ مآلُهُم الجنَّةَ، وإمّا أن يكونَ مآلُهُم النّار[2].

(1) القشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 343.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 15.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"